MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN_NAHAR
Date : 9_3_95
Photo No. : 170

عودة الى "حوار الردع"؟

ماذا أسمع؟ كريستوفر آت الى المنطقة؟ حسناً! سخّنوا جبهة الجنوب.

قد تكون هذه الكلمات من نسج الخيال. الا ان مضمونها ليس خيالياً على الاطلاق. فقاعدة التزامن بين تسخين الجنوب اللبناني وزيارات وزير الخارجية الاميركية لم تعد تتطلب تحليلاً مطوّلاً. صار الأخذ بها مجرد تحصيل حاصل، او لنقل استنتاجاً بسيطاً توصل اليه عملية قياس احصائي، الى حد ان استعمال كلمة "تزامن" للتدليل على هذه الظاهرة صار ضرباً من البراءة.

لم يعد الأمر مريباً ربما في المرة الاولى كان كذلك. لكنه سرعان ما تكرر ثانية، فبدأ التنبه الى وجود ظاهرة، ثم تكرر ثالثة فبدا عادياً، فرابعة وخامسة حتى اضحى توقع التسخين علماً حسابياً في متناول الجميع، مثلما اضحى التسخين نفسه اجراءً آلياً عند الاطراف المعنيين (وغير المعنيين). لم تستعمله اسرائيل وحدها، وان كانت اكثر المستفيدين من هذا السلاح او، على الاقل، الاكثر قدرة على استعماله في شكل موجع. كما يحدث منذ عشرة ايام.

الظاهرة مألوفة اذاً. فهل تكون نتيجتها كما ألفنا: تهدئة الوضع على يد وارن كريستوفر خلال تجواله في المنطقة او في ختام جولته؟ والاستنتاج من هذه التهدئة ان عملية التسوية ما زالت قائمة؟ هذا ما تفترضه القاعدة. ولكن ثمة مجال للشك. ليس لأن الاطراف حسموا امر التأجيل، كما نسمع، وانما لأن آليات التصعيد، الاسرائيلي هذه المرة، ادخلت عنصراً جديداً، او بالاحرى انها استعادت عاملاً قديماً لم يعد يستعمل منذ سنوات: "حوار الردع".

و"حوار الردع" مفهوم لفت الانتباه اليه باحث اسرائيلي هو يئير افرون، في كتاب صدر في لندن عام ١٩٨٥ حول المواجهة السورية – الاسرائيلية في لبنان ابتداء من العام ١٩٧٦ وحتى فترة ما بعد اجتياح ١٩٨٢. والمقصود به هو الاطار الذي يضبط هذه المواجهة باتجاه منعها، في معظم الاحيان، من الانفجار، وذلك بواسطة نوع من الشيفرة قوامها: التحذير اللفظي، التهديد، تحريك نوعية معينة من القوات (مدرّعة، مجوقلة...)، توسيع او تضييق هامش تحليق الطيران في الاجواء اللبنانية، تحديد خطوط حمر، تخطي الخطوط الحمر، استخدام سلاح البحرية الخ...

المهم في الامر ان حوار الردع اطار ديناميكي: يتغير، تقوى وتيرته او تضعف بحسب حاجات الطرفين وحساباتهما. وبهذا المعنى لم يعد حوار الردع قائماً: الا كخلفية استراتيجية، منذ ان قررت اسرائيل، بعيد انسحابها من المدن الرئيسية في الجنوب، الاحجام عن التدخل في السياسة اللبنانية "المركزية". وتكرس هذا الاتجاه في شكل مستديم بعد ان استتب الوضع لمصلحة سوريا في ١٩٩٠. وكان استخدام الطيران السوري في المعركة الاخيرة ضد العماد عون خير دليل على القبول الاسرائيلي، ربما بضغط اميركي، بالارجحية السورية في المركز اللبناني. وكان اللافت في السنوات التي الاخيرة تأثير تطورات الجنوب على ميزان القوى العام الذي يحكم لبنان. لم يخرج عن هذه القاعدة الجديدة الا "الاجتياح الجوي" في صيف ١٩٩٣، وبحدود، وما حدث قبل ثلاثة ايام من تحليق للطيران الاسرائيلي فوق بيروت وضواحيها.

وعليه لا بد من التساؤل عما اذا كانت العودة الى "حوار الردع" تعبيراً عن استنتاج اسرائيلي بحتمية تأجيل العملية السلمية، ام ان الهدف منها اعادة صوغ اسس التفاوض السوري – الاسرائيلي وتوسيعها لتشمل ما كان متفقاً عليه، اي لبنان، بالارجحية السورية المقبولة له والترتيبات الامنية المطلوبة منه.

سمير قصير